الدعوة إلى العبادة

تأليف: جيمس ل. ماي

عدنا (أنا وزوجتي باربارا) في شهر مارس سنة ١٩٩٣م إلى زامبيا بعد غياب دام عشر سنوات. وقد استعرنا سيارة من مدرسة نامورياقا المسيحية المتوسطة وذهبنا صباح الأحد إلى قرية سيكاساسا، حيث كنا قد ساعدنا في تأسيس الكنيسة هناك قبل عشر سنوات، وساعدنا المسيحيين هناك أيضاً على انشاء مبنى للكنيسة. وصلنا إلى مبنى الكنيسة في الساعة العاشر صباحاً، ولم يكن قد حضر اي شخص بعد. انتظرنا تحت شجرة قريبة من المكان، غير عالمين إن كانت الكنيسة ما زالت تجتمع هناك. ولكن لم يطل انتظارنا، إذ ظهر صبي بعد بضع دقائق وبدأ يضرب بقضيب معدني على اسطوانة محراث قديمة. كان ذلك بمثابة «الدعوة إلى العبادة»، ولتنبيه أهل القرية بان هناك زائران يحضران خدمة العبادة في ذلك اليوم.

ومضت نصف ساعة قبل أن يصل أحد. ثم بداء الناس يأتون من مختلف الاتجاهات واحداً فواحداً. رحبوا بنا بسرور وتحدثوا إلينا تحت الشجرة حتى تأكدوا بان الجميع قد حضر. وفي مبنى الكنيسة جلس الرجال في ناحية، وجلست النساء في الناحية الأخرى. وكانت المقاعد طويلة مسنودة على دعامات على شكل الحرف «Y»، مثبتة بإحكام في الأرض من كل طرف.

وكانت بعض الترانيم مألوفة لنا ولكنها كانت بلغة التونقا. والبعض الاخر، التي لم نكن نعرفها، ذات طابع افريقي بحت. كان تلك تجربةخاصة لنا بإفريقيا. لم يكن ذلك نوع العبادة المألوفة لديّ، ولكن لم أشك أبداً بان تلك كانت خدمة عبادة.

وفي مناسبة أخرى ذهبتُ مع الأخ بيتر سلمون لكي نلقي موعظة في الكنيسة التي كانت تجتمع في مبنى «جمعية الشباب المسيحية YMCA» في مدينة مدراس بالهند. وعند وصولنا إلى هناك وجدنا ان خدمة العبادة قد بدأت. لم تكن هناك مقاعد أو كراسي. كان العُباد يجلسون أو يجثون على سَجّادة موضوعة على الأرض. عندما دخلنا كان معظم الناس راكعين برؤوس منحنية وكان هناك شخص يقود الصلاة. حالما دخلنا من الباب جثى بيتر على ركبتيه، ففعلتُ كذلك. كان مشهد تواضع الجماعة أمام عرش الله شيء مثير. كنتُ أرى بكل وضوح بان عملية العبادة قائمة. لقد حضرت خدمة العبادة في خمسة دول إفريقية مختلفة، وفي بضع مناطق مختلفة بالهند، وفي دولتين بأمريكا الجنوبية، وفي دول أمريكا الوسطى كما حضرتُ خدمة العبادة أيضاً في عدد من جزر الكاريبي. كلها مختلفة (في حدود الأسفار المقدسة)، ومع ذلك نلاحظ انها كلها متشابهة. قد تعلمتُ أن أكون لين العريكة في ما أتوقعه في جماعات العبادة. مع ان البعض منها كانت أكثر متعة وفائدة لي شخصياً من غيرها، إلا انني تعلمتُ إذا عبدتُ أو لم أعبد هذا يتوقف أكثر على ما يدور بداخلي عما يحدث في مكان العبادة.

ما هي العبادة؟

هل العبادة مدفونة في مكان ما في النشاطات المختلفة التي تنهمك فيها الكنيسة؟ هل هي مختبئة في ركن ما تنتظر اكتشافها؟ أول ما أفكر به عن العبادة هو «الذهاب إلى الكنيسة». ظل هذا مفهومي على

الرغم من النصائح المتكررة من قبل الوعاظ باننا لا «نذهب إلى الكنيسة»، بل بالأحرى «نذهب للعبادة». إذا كانت العبادة هي ما يجب أن «نذهب إليها» فمن الضروري لنا أن نعلم ما هي. قال توزر في كتابه بعنوان «ماذا حدث للعبادة؟» بان «الكثير مما يقال عن العبادة ليس عبادة».

الكلمة «عبادة» مثلها مثل الكلمة «محبة» فهي كلمة مألوفة يصعب تفسيرها بمصطلحات يمكن للناس أن يفهموها بالكامل اليوم. انها تعبر عما يرغب فيه البعض ويشمئز منها الآخرون. يتوق البعض إلى الدخول إلى حضرة الله المحي والمشبع والمنشط للنفس. وينظر اخرون الى العبادة كأنها أكثر طريقة مضجرة لقضاء الوقت.

قال الفرد قيبس في كتابه بعنوان «العبادة: عمل المسيحي الأسمى»: «معنى ... كعطر الورد الرائع أو طعم العسل، اختباره أسهل بكثير من وصفه». مع ان قيبس، قد يكون على صواب، إلا انه من المهم ان نبحث عن تعريف الكتاب المقدس للعبادة وإلا فلا نعرف إذا كان ما قد إختبرناه هو عبادة أم لا. بعد ما قال قيبس هذا استمر ليعطي بضع تعريفات جمعها من مصادر مختلفة. بعض هذه التعريفات عن «العبادة» هي (١) «فيضان القلب الشاكر، تحت الشعور بفضل الله»؛ (٢) «سكب النفس الهادئة في حضرة الله»؛ (٣) «إنشغال القلب ليس باحتياجاته ولا حتى ببركاته بل بالله نفسه»؛ (٤) «بروز القلب الذي عرف الآب انه المعطي، وعرف الابن انه المخلص، والروح القدس انه الساكن فيه».

عَرَّف ريكي أشلي العبادة على انها «الاعتراف بالله، والاعتراف بالنفس، والاستجابة المناسبة لذلك». تؤكد العبادة أهمية وضعف الإنسان. تذكرنا باننا نعتمد على الله. بينما تساهم كل هذه التعريفات في فهمنا لما يجب ان تكون العبادة عليه، إلا أنه لا يوجد أي منها يفسر بالكامل ما هي العبادة. وأنا لا أحاول أن أعطي تعريفاً الآن. عندما نستمر في دروسنا في هذا العدد، ستنجلي صورة أوضح للعبادة. وفي درس قادم سنلقي نظرة على معنى كلمتين في اللغة اليونانية التي منهما ترجمت الكلمتين «عبادة، وسجود».

لماذا يجب أن نعبد؟

نصير أكثر ضعفاً عندما نعبد، لأننا في ذلك الوقت ندرك ضعفاتنا البشرية أكثر، ومع ذلك نصير أقوياء أكثر عندما نعبد لأننا نجد قوتنا من الله المتسيد. الله هو الذي يدعونا للعبادة. لقد صممنا الله بهذه الطريقة. الناس مخلوقين بحيث نكون فارغين وغير مكتملين من غير العبادة. يعلم الله باننا إن لم نعبده، سنبحث عن شيء آخر لنعبد. لقد خلقنا في صورته (تكوين ١: ٢٦؛ أنظر ٢: ٧). لم يخلقنا لكي نمكث هنا إلى الأبد. بل لنعيش معه مدى الأبدية. ولهذا يريد لنا أن نقترب إلى حضرته، وان نعرفه بطريقة أفضل ونقتدي به. انه يعلم بان الناس سيشبهون ما يعبدونه أياً كان. وإذا عبدناه نصير مثله أكثر فأكثر. النصوص التالية تضع التوكيد على هذه الحقيقة:

> وكما لبسنا صورة الترابي سنلبس أيضاً صورة السماوي (١ كونثوس ١٥: ٤٩).
>
> ونحن جميعنا ناظرين مجد الرب بوجه مكشوف كما في مرآة نتغير إلى تلك الصورة عينها من مجد كما من الرب الروح (٢ كورنثوس ٣: ١٨).
>
> أيها الأحباء، الآن نحن أولاد الله ولم يظهر بعد ماذا سنكون. ولكن نعلم أنه إذا ظهر نكون مثله لأننا سنراه كما هو (١ يوحنا ٣: ٢).

ما يريده الله بصفة عامة هو ان يجدد علاقة البشر معه. انه يعلم باننا إذا صرنا عُبّاد، لا يمكن أن نكذب ونغش ونسرق ونعيش بطريقة غير اخلاقية. يريد الله ان يطهرنا ويوحدنا معه مرة أخرى عن طريق إيماننا بما عمله لأجلنا على الصليب. ويطلب أن يحفظنا طاهرين عن طريق العبادة. وهو يعلم باننا إذا حافظنا على علاقتنا معه عن طريق العبادة، فاننا سنشارك العالم بأفراح وفوائد تلك العلاقة. إذاً العبادة هي لمنفعتنا وليست لمنفعته.

العبادة ليست مجرد احتفال بفكرة عن الله أو مظهر من طبيعته، بل الاقتراب إلى حضرة الله نفسه. عبادته تعني الانهماك فيه، اختبار راحة وأمن، ودفء حمايته. التنعم في نور مجده، والاستغراق في بهاء حضرته يجعلنا مثله أكثر فأكثر. وتساعد في إعدادنا لنكون في وجوده الأبدي عندما يأتي مرة أخرى. يميل الناس إلى أن يكونوا مثل الذين يقضون الوقت معهم. العبادة في شكلها المبسط هي قضاء وقت مع الله لغرض الامتثال به أكثر فأكثر. عندما نعترف به انه ما هو، سنكرمه ونمجده لأنه مستحق. «عبادة الله ومجده — هما غاية كل رجل أو امرأة».

متى يجب أن نعبد؟

المثل الأعلى هو أن تكون العبادة بصورة متكررة أكثر من التجمع العام للمسيحيين. معظم الارشادات والأمثلة للعبادة في الأسفار المقدسة هي عن العبادة الشخصية أو العبادة الأسرية. ولكني لا اسمع عادة أسئلة عن العبادة الشخصية أو الأسرية. هل هذا يعني بانه لا توجد الكثير من العبادة الشخصية أوالأسرية؟

عندما نفكر في «العبادة»، تأتي بخاطرنا عادة التجمع العام للمسيحيين. ولكن إن لم نكن نعبد الله بصورة شخصية لا نكون مؤهلين روحياً لنعبده في يوم الأحد «أول الأسبوع» الذي يشار إليه أحياناً بانه «يوم الرب» (أنظر أعمال ٢٠: ٧؛ ١ كورنثوس ١٦: ٢؛ رؤيا ١: ١٠).[1]

كيف يجب أن نعبد؟

مع انه يوجد القليل من المواصفات والمستعرضات عن الكيفية التي تمت بها العبادة في الكنيسة {في أيامها} الأولى، إلا ان بولس أعطى بعض المباديء في الاصحاحات من ١١ إلى ١٤ من الرسالة الأولى إلى أهل كورنثوس لتوجه اجتماعاتهم. الكثير من طلاب الكتاب المقدس يعتبرون الأصحاحات من ١١ إلى ١٤ من الرسالة الأولى إلى أهل كورنثوس بانها قد كتبت في سياق الاجتماع. وأني أعتقد شخصياً ان الاجتماع هو السياق الذي كتبت في هذه الأصحاحات الأربعة. يتسأل بعض الناس ما إذا كانت الآيات الست عشرة الأولى من الأصحاح ١١ تتحدث عن الوضع عند التجمع أم لا. ولكن لا شك في ان الحديث في ١١: ١٧ وما بعده هو عن الاجتماع. العبارة «تجتمعون» توضح بجلاء مفهوم النص. مهما مارسها أولئك المسيحيون أثناء العبادة (ومهما نمارسها)، تنطبق هذه المباديء.

ماذا نفعل؟

١. يجب *أن نجتمع لأجل إصلاح بعضنا البعض* (١١: ١٧). تصف الآية التالية انشقاقات وانقسامات أدت إلى الفوضى في اجتماعاتهم. كان الكثير مما فعلوا في اجتماعاتهم يضر بنموهم الروحي. بدلاً من أن يكرموا الله كانوا يكرمون بعضهم البعض. كان يجب ان تكون أفعالم موجهة لله بدلاً من أن تكون موجهة للذات.

٢. يجب *أن نذكر الهدف* (١١: ٢٧-٢٩). هذا المبدأ موجود في تناولنا لعشاء الرب. العبارة «بدون استحقاق» (الآية ٢٧) تعني بوضوح «لغرض غير صحيح وبروح رديء». كان هدف الإجتماع وخاصة الغرض من العشاء الرباني غائب. ناشد بولس أولئك المسيحيين أن يمتحنوا أنفسهم (آية ٢٨) ويدركوا الهدف الصحيح الذي من أجله كانوا يجتمعون.

٣. يجب *أن نعمل كجسد واحد* (١٢: ١٢-٢١). يريد الله لشعبه ان يجتمعوا معاً للعبادة (عبرانيين ١٠: ٢٥). يجب أن تكون العبادة مبنية على العلاقة «مع الله» و«مع بعضنا البعض». العبادة الشخصية أو الأسرية هي في غاية الأهمية للنمو الروحي. واما العبادة الجماعية فتعطي شيء لا تعطيه العبادة الخاصة أو الأسرية. المشاركة في بناء الإيمان تعزز الشعور بالشركة والتشجيع المتبادل. ويكون هذا مفقود في الإنقاسمات التي توجد

[1] أنظر الحوار بعنوان «عشاء يوم الرب» على صفحة ٣٦ والمُلحق بعنوان «كم مرة يجب تناول العشاء الرباني؟» على صفحة ٧.

في الكنيسة عندما تجتمع. عندما يفضل البعض شيء ما ويفضل الآخرون شيء آخر، تعاني علاقة «بعضنا مع البعض». ما لا نلاحظه عادة هو انه عندما تعاني «علاقاتنا مع بعضنا البعض»، تعاني أيضاً «علاقاتنا الفردية مع الله».

٤. يجب *أن نهتم ببعضنا البعض، ونكرم الأعضاء الأقل إكراماً* (١٢: ٢٢-٢٥؛ قارن يعقوب ٢: ١-١٣). قد نُجرب بان نتجاهل أو نتجنب أعضاء الجسد هؤلاء الذين ليسوا مثلنا. وجه يعقوب حديثه بصفة خاصة إلى مشكلة اظهار المحاباة {التحيز} لصالح الأغنياء. المحفل هو مكان فيه نشعر بالأمن في حضرة الله، حيث يكون جميع شعب الله متساوين. لا تتعامل الكنيسة مع المساكين والمنبوذين والأقل حظوة كما يعاملهم العالم. المحفل بالنسبة للمنبوذين والمضطهدين والذين يسيء إليهم المجتمع الوحشي هو تراجع من العالم. يجب ان يكون المجيء إلى الاجتماع مثل استنشاق الهواء النقي. يجب أن نجد فيه الاهتمام المتبادل والإكرام المتساوي لكل فرد.

٥. يجب *أن نتعامل مع بعضنا البعض بالمحبة* (١٣: ١-٨). لم ألاحظ قط أن الحديث عن المحبة في الأصحاح ١٣ يأتي في منتصف الإرشادات عن العبادة، حتى عندما كنتُ أناقش مع صديقي هذه النصوص وعما تعلم عن العبادة. لا جدل في ان هذا التعليم ينطبق في مجالات أخرى أيضاً؛ ولكن مفهوم النص المحدد هو عن كيفية التعامل مع بعضنا البعض عند العبادة الجماعية. كان ينبغي أن تكون المحبة الممارسة الأساسية لأولئك المسيحيين (١٤: ١). تقودنا المحبة إلى الاهتمام بحاجات الآخرين ومتطلباتهم أولاً. عندما أقرأ الأصحاح ١٣ بتطبيق معاملة المسيحيين في جماعة العبادة يتخذ الأصحاح كله معنى جديد بالنسبة لي.

٦. يجب *أن نبني بعضنا البعض* (١٤: ٣، ٤، ٥، ١٢، ١٧، ٢٦، ٣١). الكلمة الرئيسية في الأصحاح ١٤ هي «بنيان» بمختلف أشكالها. نرى بولس يضع التوكيد سبع مرات على الأقل على العبادة أن تبني. يجب أن يكون البناء الناتج الكُلي للمباديء الخمسة السابقة. ما يحاول الشيطان والعالم تمزيقه تبنيه العبادة مرة أخرى. لا يجب أن تكون العبادة عبء على الكنيسة، بل لبنيانها.

٧. يجب *أن نعمل كل شيء بلياقة* وترتيب (١٤: ٤٠). لا يخلق الله الفوضى ولا يشجعها. كل ما يحدث من فوضى بين جماعة المؤمنين يكون من صنع الإنسان. وإذا كان هناك روح بين جماعة المؤمنين يخلق فوضى فبكل تأكيد لا يكون هذا الروح القدس.

ما لا يجب عمله

يجب ان نهتم كثيرا بأن لا نأتي إلى الكنيسة ونمر بالاحاسيس الصحيحة ونقول الكلمات المناسبة ونرنم الترانيم المناسبة ومع ذلك نقصر عن العبادة. قد يحدث هذا لعدة أسباب:

أولاً: قد لا نعبد لأننا اجتمعنا لهدف غير صحيح. في إنجيل متى ١٥: ٨ أنذر يسوع عن هذا إذ اقتبس من سفر إشعياء النبي ٢٩: ١٣: «هذا الشعب قد اقترب إليَّ بفمه وأكرمني بشفتيه وأما قلبه فأبعده عني».

ثانياً: قد لا نعبد بسبب خطيئة في حياتنا. وصف النبي عاموس حالة جعلت العبادة غير مقبولة. كان الشعب في أيام النبي عاموس يحفظون أيام الأعياد، ويقدمون المحرقات، ويقدمون أغاني روحية؛ ولكن لم يقبل الله عبادتهم بسبب حياتهم الفاسدة (عاموس ٥: ٢١-٢٧).

ثالثاً: قد لا نعبد لأننا فعلنا شيء يؤذي بأخ. قال يسوع: «فإن قدمت قربانك إلى المذبح وهناك تذكرت أن لأخيك شيئاً عليك، فاترك هناك قربانك قدام المذبح واذهب أولاً اصطلح مع أخيك. وحينئذ تعال وقدم قربانك» (متى ٥: ٢٣ و٢٤).

قال المرحوم أندي ريتچي الذي كان يدرس مقرر تعليمي بعنوان «عبادة الكنيسة» بجامعة هاردينج بان «العبادة لا تكون مقبولة لله عندما لا تكون الحياة اليومية في وفاق مع الله». لقد وضع الله العبادة لكي تغير الطريقة التي نعيش بها. تنشأ العبادة فينا صفات الحياة التي تصوغنا وتجعلنا في صورة الله

لا يدعونا الله إلى عبادته لأنه يحتاج إلى هذه العبادة. هو المتسيد والكامل في ذاته. لا يحتاج الله إلى أي شيء نقدمه لقد دعانا الله لنعبده لأننا نحتاج إلى ذلك. في العبادة يدعونا الله إلى العظمة الروحية.

الخلاصة

ليس هدفي أن اشتبك في المواضيع المختلفة التي طرحها الناس عن العبادة. سيختفي معظم هذا إن لم يكن كله عندما نركز على قلب ولب العبادة. العبادة ليست عن الشكل أو الأسلوب. وليست ما أريده أو أفضله، بل ما يرضي الله. جماعة العبادة غير مصممة لخلق طريقة لكل شخص ليمارس موهبته الشخصية، بل ليجذب كل فرد إلى حضرة الله. العبادة ليست أيضاً عن الصلة مع «الذين لا يذهبون إلى الكنيسة». عبادة العهد الجديد هي نشاط للمسيحيين. هذا لا يعني ان لا نبالي بحاجات أو هموم الزوار في جماعاتنا؛ ولكن ينبغي أن ندرك أن الزائر الذي لا ينسجم مع الله أو مع الهدف الحقيقي من العبادة لا يجد كل ما يقام به عند العبادة وثيق الصلة بحايته الحالية..

كم مرة يجب تناول العشاء الرباني؟

الأسئلة التي تطرح في أغلب الأحيان عن عشاء الرب تتعلق بعدد المرات المناسبة التي يجب تناوله فيها. يظن البعض ان تناوله في كل أسبوع يجعله مبتذل بسبب كثرة التكرار، ولكن لا يظن أحد هكذا عبدما يتعلق الأمر بالترنيم والصلاة والكرازة أو العطاء/التبرعات. لم أسمع قط واعظ يقول بان الكرازة في كل أسبوع تجعل الكرازة بكلمة الله مبتذلة. أية حجة لا يمكن تطبيقها بتتابع هي حجة ضعيفة. ابتذال أي تعبير من تعبيرات العبادة يكون بسبب سلوك العابد أكثر من كونه بسبب تكرار الممارسة.

أذا كان يجب استخدام العهد الجديد كمعيار في أي شيء، فبكل تأكيد يجب أن يكون معيار لعبادة الكنيسة. العبادة هي الإستجابة المناسبة لجميع المسيحيين لعمل الله في حياتهم. المسيحيون الأوائل تم إرشادهم وقيادتهم بتعليم الرسل. الدليل القاطع هو انهم كانوا يجتمعون كل يوم الأحد لكسر الخبز ـــ أي لتناول عشاء الرب. عندما جاء بولس ومرافقوه في السفر إلى تروواس، بقوا هناك لمدة أسبوع في انتظار اجتماع الكنيسة. اجتمعوا معاً في أول الأسبوع لكسر الخبز (أعمال ٢٠: ٧). أوصى بولس أهل كورنثوس ليجمعوا في أول الأسبوع ما كان يحتاج إليه من المال لدعم المساكين في اليهودية، من الواضح لأن ذلك كان اليوم الذي يجتمعون فيه على كل حال (١ كورنثوس ١٦: ١ و٢). لقد سبق وأوصاهم كيف يتناولون العشاء الرباني بطريقة مناسبة (الأصحاح ١١ من الرسالة الأولى إلى أهل كورنثوس)، مما يدل على انهم كانوا يلتقون لتناول وليمة الرب التذكارية. إذا كان الالتقاء مرة واحدة في الأسبوع، أي في كل يوم أحد، ليس تكرار أكثر مما ينبغي لاجتماع العبادة، فلا يكون مكرر أكثر مما ينبغي للاجتماع حول مائدة الرب. لا نجد دليلاً بان الكنيسة المبكرة فعلت غير هذا. لقد تبعوا إرشاد الرسل، وهكذا ينبغي أن نفعل أيضاً.

جميع الحقوق محفوظة ٢٠٠٧